الرقص قديما وحديثا

للأستاذ محمد السيد المويلحى

ينظر الشرق فى هذا الزمن إلى فن الرقص نظرة احتقار واستنكار لأنه لا يعلم عنه أو لا يحب أن يعلم عنه إلا أنه مجلبة للهو والسرور ، وإرضاء للغرائز الحيوانية ، ثم هو يعتقد اعتقاداً يبلغ حد الإيمان — ولعله صادق — أن جميع محترفات الرقص من الطبقة الفقيرة التى لا تكترث لعوامل الشرف والتقاليد لا كثيراً ولا قليلاً ... أولئك اللائى لا يرقصن لأنهن يجدن فن الرقص ويلممن بأنواعه الكثيرة ، بل لأنهن يرقصن لملء البطون وستر الجسوم وإرضاء الرجال ليس إلا ... !

هو لا يعلم أو لا يحب أن يعلم أن الرقص من أروع الفنون وأبدعها إن لم يكن أروعها وأبدعها جميعاً ، فقد ظهر مع الإنسان الأول «على الأرض» من غير تعليم أو تدريب ، ومن غير قواعد مرسومة أو أصول موضوعة ، ومن غير أن يعرف أن هذا الذى يقوم به ويؤديه سيصبح مع مرور الزمن وكر الدهور فنًّا ككل فن آخر له قواعده وأصوله ، وقيوده وحدوده ...

فالطفل الصغير الذى لا يفرق بين الجر والتمر ، تراه إذا صفا ناغى وناجى وأخذ يهز جسمه ، ويحرك رأسه ، ويلعب بيديه فى حركات بريئة منتظمة تعطى للناظر صورة بديعة (للرقص) الساذج الفطرى الذى يجرى مع الدم ويتحرك مع كل حركة للطفل حركات مضبوطة (موزونة) كأنما تعلمها وتلقنها عن مدرس ماهر!

والعجيب فى الأمر أن تلك الحركات الطبيعية التى تصدر عن الطفل لو وزنت (فنيًّا) وقدر لها مثلاً (نواراً) زمنيًّا لكل حركة لرأينا أنها تجرى على هذا النمط ، وعلى هذا التقدير دون أن تزيد أو تنقص أو تخل بهذا الحساب الدقيق !

هذا الطفل بذاته لو غضب ، أو خاف ، أو تألم لعبر عن غضبه وخوفه وألمه بحركات تختلف تمام الاختلاف عن أختها ، ولأعطانا صوراً مختلفة صادقة لهذا الفن الطبيعى الذى يجرى مع دمه كما قلنا والذى يسجل خلجاته تسجيلاً دقيقاً لأنه يقوم فى هذا الدور مقام الكلام ومقام التعبير ...

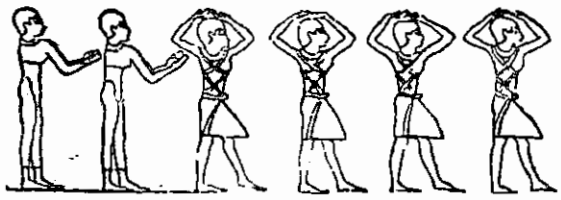

ش (١) الرقص الجميل
راقصات ومصفقات من نقوش الدولة القديمة

والصبى الصغير الذى لا يفهم من الدنيا إلا أنها أكل وشرب ولعب ولهو ويقظة ونوم تراه إذا سمع لحناً أو عزفاً (رقص) معه وتابع موسيقاه وتنقل معه من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام بإتقان يثير الدهشة ويبعث على العجب والحيرة عند من لا يعلمون أن الصبى لم يفعل شيئاً أكثر من أنه أسلم حواسه وأدمج خواجله حتى نسى نفسه ونسى كل شىء يحيط به إلا هذا اللحن الذى حرك هذا الشىء الخفى الذى يجرى فى دمه وهو الرقص ...!!

* * *

والمرأة والرجل ، والفتاة والشاب ! ! ما بال الجميع عند ما يسمعون (الرسيق) التى تلائمهم وتوافق ميولهم يتمايلون برؤوسهم ويضربون الأرض بأرجلهم ويحركون أصابعهم وأيديهم فى حركات منتظمة مستمرة ؟ ؟ إنه الرقص الذى يجرى مع الدم والذى تؤديه الأجهزة العصبية فى حركات غير إرادية ! !

(والزار) الذى يقولون عنه إنه ترضية للجن حتى تترك الأجسام أو تعفو عن أصحابها فيرأون فى أعراضهم (وكساحهم)

لو أسقطنا من حسابنا الدجاج الأبيض (أبو منقار أحمر وذيل أصفر) والخروف البنى الذى لاشية فيه ، والحمام اليمنى الذى يرضى عن صوته الجن ، والدم الذى يشربه المريض ويلوث به ملابسه وجسمه ... لو أسقطنا من حسابنا هذا والبندق والفستق والفطير والبلح ، ألا يبقى غير الطبل والرقص المنتظم تثنى له المرأة وتنقبض وتنبسط فى حركات إيقاعية سليمة ؟؟

(ش ٢)
رقص من نقوش الأسرة السادسة تستخدم فيه الرءوس المصفقة

قلنا إن الرقص فن فطرى نشأ مع الإنسان من يوم أن خلقه الله وقد كان قدماء المصريين يستخدمونه فى لهوهم وحزنهم ، وحروبهم وقرابينهم ، وعبادتهم لآلهتهم لأنه كان عندهم فى منزلة التقديس ... تحترمه الكهنة وتعتقد أن الآلهة لا تقبل الصلاة ولا القرابين إلا إذا سبقها ، الرقص لذلك كانوا يسمحون به ويشجعون عليه. وقد بلغ أنواعه فى الدولتين القديمة والحديثة أكثر من عشرة أنواع كل منها يقوم على أساس مكين من الفن الصحيح الذى نقلته أوربا عن أوائلنا وأهم الأنواع :

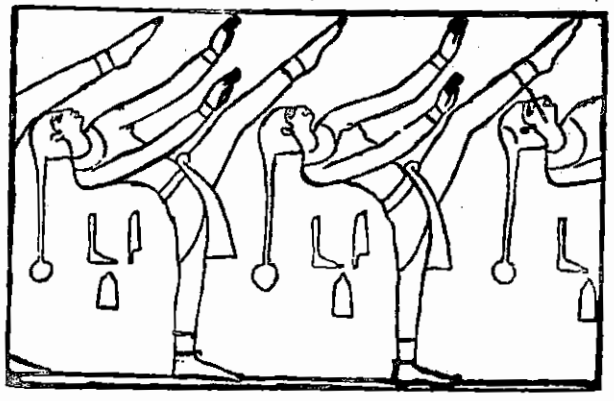

(ش ٣) الرقص الفنى
راقصات من نقوش الأسرة الخامسة

١ — الرقص الجميل ، وكانت تقوم به النساء شبه عاريات إلا ما يستر عورتهن وكن يحلين صدورهن ونحورهن بالحلى والأربطة ، ويرتدين بعد ذلك ثوباً شفافاً طويلاً وإن كان لا يستر شيئاً إلا أنه كان يزيدهن فتنة وسحراً ، وكان رقصهن رقصاً مهذباً بديعاً راقياً يمتاز بالبطء والرشاقة ، وكان على شكل جماعات تتجه اتجاهاً واحداً الواحدة خلف الأخرى كما يتضح من الشكل رقم (١) وكان بعضهن يصفق ليحفظ الإيقاع الموسيقى .

٢ — الرقص السريع ، وكان يقوم به الرجال فى حركات سريعة منتظمة قابضين بأيديهم على قطعتين صغيرتين من الخشب تقرع فى أثناء الرقص قرعاً متتالياً سريعاً يتمشى مع حركاتهم ش (٢)

٣ — الرقص الفنى (الكلاسيك) ، ويمتاز بنشاطه ولونه الفنى البديع وجماعاته المنتظمة . وهذا الرقص الذى ابتكره قدماء المصريين من آلاف السنين هو الذى نقلته أوربا الحديثة عنهم واستعملته فى أوبراتها وسمته Ballet ...! ش (٣)

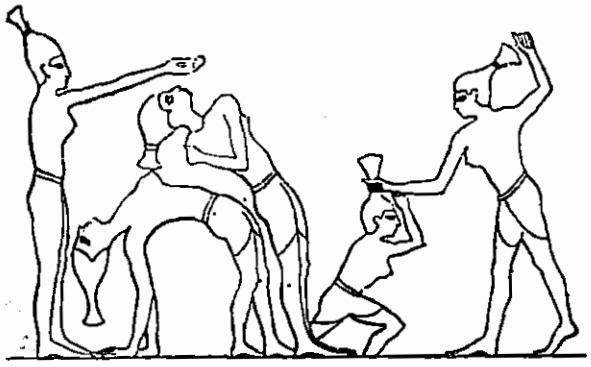

(ش ٤) رقص الصور الحية
من نقوش الدولة الوسطى ، مدافن بنى حسن

٤ — الرقص الحى ، وهو أبدع أنواع الرقص القديم لأنه كان ترجماناً صادقاً للتفاعيل الطبيعية والخوالج النفسية فكان يمثل الانتصار والانكسار فيجثو المغلوب خاشعاً خاضعاً تحت قدمى الغالب كما ترى فى الشكل رقم (٤) الجزء الأيمن ، وكان يمثل زقزقة العصافير ، وتغريد البلابل ومداعبة النسيم للأغصان كما ترى فى الشق الثانى من الشكل (٤) ... !

٥ — وهناك أنواع مختلفة عرفها قدماء المصريين ، منها : رقص الحصاد وكان يقوم به الرجال وهم يصفقون بالأذرع للصفقة الواحد خلف الآخر فى اتساق ونظام ، والرقص بالآلات الإيقاعية كانت تقوم به نساء ذوات دل ، وكن لا يرتدين إلا غلالات شفافة تنم عن جسوم غضة بضة يرقصن ويعزفن فى آن واحد ، والرقص يتابعه الصاجات والرءوس المصفقة وكان الراقص غير العازف كما ترى فى شكل (٦) ضارب بالصاجات (الأول من اليمين) ثم راقص ومصفق وضارب بالرءوس المصفقة ... والرقص الحربى وتتمثل فيه القوة والعظمة ، ويظهر فيه الجبروت

هذه هى أهم أنواع الرقص المصرى القديم أما أهم أنواع الرقص الأوربى والأمريكى فهى :

القالس ، سلوفالس (بوستون) التانجو ، انرومبا ، الكاريوكا الفوكس تروت ، سلوفوكس ، اللامبتوك ، الشارلستون ، الشيمى ، سونج ، بج آبل ، چاقا ، وان استب ، توستبس (بازودوبل) ، فايف ستبس ، جيج ، لانسيه ، كادرييه ، بلرز ، مازوركا ، كلاسيك دانس ، دانس سور پوانت ، كونتفنتال ... !

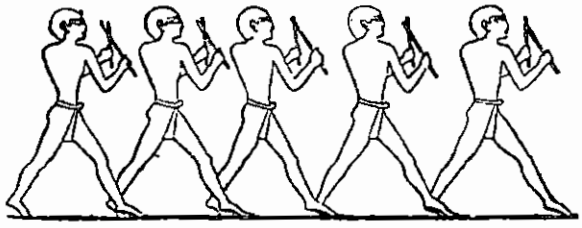

(ش ٥) رقص الحصاد بالقضبان المصففة
من نقوش الأسرة الخامسة مقبرة رقم ١٥

وفيها القديم والجديد وفيها المنقول عنا كما قلنا وفيها المنقول عن زنوج أمريكا كرقصة (الرومبا) وهى قريبة جداً من رقصة (شنجا) التى يرقصها العبيد والتى يسميها العامة من المصريين (شنجه رنجه) ... !

وأهم ما يلاحظ فى هذه الرقصات كثرة اللف ، والدوران ، والحركة . والطابع الذى تمتاز به هو طابع النشاط والرياضة العنيفة أحياناً كرقصة الدانس سوربوانت وتقف فيها الراقصة طول الوقت على أصابع القدمين ... !

* * *

على أن هناك رقصات داعرة ماجنة تشمئز منها الأخلاق ، وتنفر منها التقاليد كرقصات البج آبل . اللانسييه والكادرييه وتكون فيها البطن فوق البطن ، والصدر فوق الصدر والفم قرب الفم وتلعب فيها الحيوانية دوراً كبيراً ولا يقوم بها إلا الشباب والشواب الذين يفيضون بالحيوية الكاملة ، وبالجرأة المستهترة وبعدم الاكتراث بما يقال أو يثار وتحرم هذه الرقصات بعض الشعوب الأوربية كالإنجليز

أما الرقص الشرقى والمصرى الحديث ونعنى بالحديث الذى نراه فى هذا العصر فلا يخرج عن الرقص الإيقاعى الذى أدخلته وزارة المعارف فى برامج مدارس البنات ورياضة الأطفال وهو رقص بديع أشبه بالألعاب الرياضية منه بالرقص ، والرقص البلدى ويقوم به عامة الشعب وبخاصة من طبقة الصعايدة (والفتوات) وهو أشبه الأشياء برقص الحصاد الذى كان يؤدى فى الزمن المصرى القديم ويمتاز بعزف (الوحدة الثابتة)

وأما رقص الراقصات المصريات والشرقيات فلا شىء فيه من الفن أبداً ، ولا غاية من ورائه ، ولا غرض من أدائه إلا إرضاء الرجال والاستحواذ على (جيوبهم وقلوبهم) !

فالجمهور لا يصفق للراقصة ولا يشتد ويغالى فى تحيتها والإشادة باسمها إلا بقدر ما وُهبت من جمال ، وبقدر ما تتمتع به قامتها السمهرية من اعتدال ، وبقدر ما توزع من بسمات ، وبقدر ما تمنح من لثمات ! ...

فالرقص هنا لا يعتمد على فن أو ذوق أو رياضة ، وإنما يعتمد على هز الصدور ، ورج البطون ، واستفزاز أحط الغرائز ، وتنبيه (الحيوانية) تنبيهاً عنيفاً صاخباً يدفع الموظف الفقير إلى سرقة مال الحكومة ليتمتع ولو على حساب مستقبله وبيته وأولاده ، ويحمل الفلاح الذى حصل أمواله أن يبددها ويصرفها ولو خرب بيته وطلقت زوجه ، وشرد بنوه وبناته !

(ش ٦)
من نقوش طيبة فى الأسرة الثامنة عشرة مقبرة امنمحت ، رقص تشتمل فيه إحدى النساء الصابات وهي الراقصة الأولى من اليمين

ويرى إلى هاوية الخراب والدمار شبابنا الذى لا يعرف قيمة مال أتاه من غير كد أو جهد ...

ويحفر حفرة الخيبة لكل طالب يسمح له والده بالتردد على هذه المباآت التى لا تعلمه إلا التفكير ... لا فى الدرس والفحص ولكن فى حلاوة العينين، وسحر الشفتين ونار القلب والحب !

هذا هو رقصنا (الآن) . وهو الذى تحميه الحكومة ، وتحافظ عليه وتتقاضى عن صيحات العقل التى طالبت بالغائه ...